



قراءة في كتاب

الشعر المتفلات بين النثر والتفعيلة وخطره

للدكتور عدنان علي رضا النحوي

عرض: بويكر عبد الحليم - الجزائر

لم يعرف الأدب العربي في تاريخه الطويل، معركة اشتد لهابها حول الوزن والقافية كما عرفتھا سنوات الخمسينات والستينات.

لقد فوجئ عمالقة الفكر وأساطين الأدب والنقد، بطرح حدائثي يسعى للتحرر من الأطر التقليدية في نظم الشعر، وعلى رأس هؤلاء صلاح عبد الصبور^(١)

لقد استهواه التجديد، وضاقته الأوزان، ففر من البحور الخليلية^(٢) واحتتمى بالتفعيلة الواحدة، مقدرًا في نفسه أنها المفتاح الذي يساعد الشاعر على النظم في جميع الموضوعات قديمها وحديثها، ويمنحه قدرة عظيمة على تناول هذه الموضوعات في عمق أكبر، ويكون في وسعه أن يطيل في البيت، وأن يوجز فيه تبعًا للمشاعر والعواطف التي تدفعه إلى النظم.^(٣)

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الشعر المتفلات

بين النثر والتفعيلة
وخطره

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

حسن منه - وهو قليل - فإنه يدخل الأدب من باب النثر فقط، وفي النثر العربي ما هو أرقى منه جمالا ومعنى وبناء بما يغنينا عن هذا الانحراف. والشعر المتفلت بالتفعيلة أشد خطرا على اللغة العربية من المتفلت بالنثر، وكلاهما خطر شديد ومؤامرة على اللغة العربية (٧).



صلاح عبد الصبور



د. عدنان النحوي

لم يرق العقاد بصاحبه، فضعف رأيه من وجهة الأدب والتاريخ، وأرتج بابه سدا لذريعة الفساد والإطاحة بموارثنا المعرفية والثقافية. واعتبر هذا العمل شغلة لا تفلح، أو لعبة لا تسلي، مفندا القول بتصنيف شعر التفعيلة ضمن إطار الشعر الموزون. (٤) وفي هذه القراءة نستعرض موقف الأديب والكاتب

الدكتور عدنان علي رضا النحوي من هذه المعركة القديمة الجديدة من خلال كتابه: «الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره» الذي صدر في طبعته الأولى ٢٠٠١ م، عن دار النحوي للنشر والتوزيع، بالرياض.

استهل كتابه بمقدمة حدد فيها موقفه الرفض لشعر التفعيلة وشعر النثر، مبينا حقيقة الشعر العربي الأصيل، معتبرا الوزن أعظم أركان الشعر وأولاهها به خصوصية،

وفيما حبره من فصول وصاغة من فقرات، نجده أعده من أدلة وبراهين لتأكيد موقفه مما تطاير إليه من شعر الحداثيين.

أولا: شعر التفعيلة:

لقد سار النحوي على هدى العقاد عندما اعتبر شعر التفعيلة خطرا على الإطار التقليدي للشعر (٨)، ومؤامرة على اللغة العربية وآدابها. بانينا رأيه على مجموعة من الأسس:

١- الوزن دعامة أساسية للشعر، وجوهر يكون ماهيته، وبغير الوزن يستحيل الشعر رمة لا روح لها، يقول: «الوزن والقافية بنيا مع تاريخ اللغة حتى أصبح جزءا منها لا ينفك عنها، فإذا هدمناها نكون قد هدمنا جزءا من البناء، ومزقنا جزءا من النسيج». (٩)

وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة، على رأي ابن رشيق في العمدة. (٥) مضيفا إلى الوزن والقافية تلك الخصائص الفنية من نحو وصرف وبلاغة وبيان وقواعد عروضية (٦) وهي عناصر مستقرة في نسيج اللغة وبنائها، وهي التي تمد النص الشعري بمواد فنية، وإشرافات جمالية، وبغير هذا لا يدخل الشعر ساحة الأدب. ولا غرو أن نجد النحوي يحدد موقعه باشتراطه للخصائص الإيمانية، ارتقاء بالإنجاز إلى مستوى الأدب الملزم بالإسلام.

وهذا التوجه مادة من مواد قلمه وكتاباته، بل هو نفسه وحياته. وعلى ضوءه رفض الشعر المتفلت قائلا في ذلك: «وأما الشعر المتفلت نثرا أو بالتفعيلة فليس بشعر ولا نسب له مع الشعر، وهو هابط في معظمه معنى ولغة وبناء، وما



وتذكرنا هذه العبارة بأدب الخمسينات، وعلى لسان عبد القادر المازني ومن خلال قلمه نقرأ: «الوزن شيء ضروري في الشعر وليس هو بالشيء المصطلح عليه، ولكنه جوهري لا بد منه، وإن شئت فقل: هو جثمان الشعر، وليس يكفي أن تدعوه ثوباً يخلعه الشاعر على معانيه فتشير بذلك إلى أنه شيء منفصل عن الشعر،

لأن الإنسان لم يخترع الوزن ولا الثقافية، ولكنهما نشأ معه، ولا شعر إلا بهما أو بالوزن على الأقل»^(١٠).

٢- تحرر شعر التفعيلة من القواعد والضوابط، فيمكنك أن تضع في السطر الأول كلمة على تفعيلة واحدة، وفي السطر الثاني سبع تفعيلات، وفي الثالث تفعيلتين، أي يمكنك أن تضع في كل سطر العدد الذي تشاؤه من التفعيلات دون أي قاعدة أو ضابط. فالشعر هاهنا متفعل من الشكل حتى يصبح لا نهائي الأشكال، وهذه دعوة أدونيس.

٣- هذا التساهل سيفتح الباب على مصراعيه لمن ضعفت قدراتهم، وكلت مواهبهم - إن كانت لهم مواهب - ما دام ميزان التقويم قد اضطرب واهتز.

٤- البحور الشعرية بأوزانها وقوافيها تتسع لكل الأغراض الشعرية والمواضيع المستجدة. والعاجزون هم الذين تضيق صدورهم وتقبض مباسطهم حيالها، وهو الموقف ذاته الذي نجده عند جماعة الديوان، وبالأحرى عند عباس محمود العقاد^(١١).

٥- شعر التفعيلة طريق ممهدة لشعر النثر، فمن يبدأ بالتفعيلة فيسبنيها بالشعر المتفعل المنثور أو يجمع بينهما ليجمع بين شرين أو سواتين.

٦- إن شعر التفعيلة - ويلحق به شعر النثر - ليس تطويراً ذاتياً نابعا من أنفس دعائه أو من حاجة اللغة العربية أو من حاجة الواقع، فهو تقليد وتبعية واضحة.

ثانياً: شعر النثر:

عقد النحوي فصلاً خاصاً عرض فيه الخصائص الثابتة في شعر اللغة العربية وتميزه من النثر، مبيناً الفوارق بينهما من خلال الوضع والاصطلاح. متوصلاً إلى عدم صحة هذه التسمية، أو اعتبارها بديلاً عن الشعر العربي الأصيل الذي يمثل تاريخ هذه الأمة وأرومتها. وكل من حاد إلى هذا النوع من الكتابة فإنما انحاز إلى اتجاه تفريبي، يشكل خطراً على اللغة والأمة في آن واحد. وفي الكتاب عرض لنماذج تطبيقية للشعر المتفعل، وموقف صارم من دعاة الحداثة، ومن أسماء كثيرة، كأدونيس، وكمال أبو ديب، وجميل صدقي الزهاوي القائل:



د. عماد الدين خليل

كل الضنون تجددت والشعر يعوزه الجديد
ما قام حتى أثقلت من قوافيه القيود

وثمة مؤاخذات وملاحظات حول الكتاب نبديها فيما يأتي:

١- لا نجد أي إشارة من قبل النحوي لتلك المعارك التي شهدتها الساحة الأدبية في الخمسينات، بين المؤيدين لتجديد قالب الشعر دون قيد أو شرط، والرافضين لذلك. فالمسألة لا بد أن تطرح في سياقها التاريخي، غير مفصولة عنه، حتى يكون القارئ على بينة من خيوطها الأولى، مدركاً ثمرات هذه المعارك سلباً أم إيجاباً.

٢- لم يطرح مظاهر التجديد التي يمكن أن يتسع لها

التيسير والتنقيس، أو كان المراد بها زيادة الإيقاع والتلحين. (١٧)

- وإذا نظرنا إلى المضمون ففي ذلك الغث والسمين، شأنها في ذلك شأن الأنماط الشعرية الأخرى، حسننها حسن، وقبيحها قبيح.

٤- قد يجد الكاتب أنصارا له عندما يقول: ليست قضية الشعر المتفلت من حيث الأساس والمنطلق قضية حلال أو حرام، إنها ابتداء قضية لغة، قضية اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن من خالف قاعدة من قواعد النحو أو قواعد الصرف.

فتقول له: إنك أخطأت، فالتزام قواعد النحو ومثله كذلك مثل من قال إن ١+١=٣، نقول له هذا خطأ، فعد والتزم قواعد الحساب. (١٨) ولكن هؤلاء الأنصار، يمتلكهم الفزع، ويحفهم الخوف عندما يسحب الكاتب قضية تحتمل الصواب والخطأ إلى ميدان تصوب إليه سهام الحلال والحرام ولنقرأ عبارته:

وحين يتجه الإصرار ليصبح عملية هدم هنا أو هناك فإنه يقترب من الحرام شيئا فشيئا حتى يوقعه الشيطان فيه، وفي حالة الشعر فإن الخطر أكبر، والمدى أوسع، يكاد يرتع صاحب الخطأ في الشبهات فيقع في الحرام. (١٩)

إنه أسلوب في المحاصرة يرفضه الخاصة والكافة، ولو أصر هؤلاء الحداثيون على ما فعلوا، لأن المسألة مسألة شكل لا مسألة مضمون ■

ال قالب الشعري سواء في الوزن أم في القافية، وفي تاريخنا الطويل شاهد من كلام ابن رشيق في حديثه عن الشعر المسمط (١٢)، وفي بعض نصوص شكري (١٣)، وفي موقف العقاد (١٤) الذي قدم البديل، وقال بإمكانية اشتقاق أوزان جديدة من الأوزان القديمة، تسع الأغراض الشعرية والموضوعات الجديدة.

وفي سياق الحديث، نذكر موقف الدكتور عماد الدين خليل الذي اعتبر شعر الحداثة - بأنماطه كافة - ضرورة من الضرورات في الساحة الشعرية، وفي نظره فإن القدرة الإبداعية للشاعر هي الحكم الفصل في الحكم النقدي على أعماله سواء قدمها بصيغة العمود: أم التفعيلة أم أية صيغة أخرى. (١٥)

٢- تصنيفه للموشحات ضمن الأشكال المنحرفة التي ساقطت الأمة إلى مهاوي الضلال، وصيرتها مفتوتة في بحار الظلام. يقول الكاتب: فشعر الشعراء الذين يتبعهم الفاوون قد يكون موزونا مقفى، وقد يكون منثورا، وقد يتبدل بالتفعيلة يزيد منها أو ينقص منها على غير قاعدة، وقد يكون على شكل الموشحات انداعية للرقص والغناء الذي نشر اللهو في حياة المسلمين في الأندلس حتى ضاع ملكهم... (١٦) وهذا اعتقادي مرفوض نناقشه فيه من زاويتين:

- إننا إذا نظرنا إلى الموشحات من حيث الشكل فهي دليل على إمكانية التجديد، سواء أريد بها

الهوامش

- ١- ذكرناه نموذجا، يضاف إليه في سلكه ٤- ن. م، ص ٣٦١.
- ٥- النعمدة، ص ١٣٤.
- ٦- عقد لهذه الخصائص فصلا خاصا ٣٥ / ٤٣.
- ٧- الشعر المتفلت، ص ١٣٤.
- ٨- جماعة الديوان في النقد، ص ١٥٦.
- ٩- الشعر المتفلت، ص ١٢٨.
- ١٠- جماعة الديوان في النقد، ص ٣٦٠.
- ١١- ن. م، ص ١٥٠، ص ٣٦٢.
- ١- ذكرناه نموذجا، يضاف إليه في سلكه أحمد عبد المعطي حجازي، ونازك الملائكة.... متجاوزين الخلاف فيمن كان سباقا إلى ذلك.
- ٢- يرفض عدنان التحوي هذه التسمية، مستبدلا إياها ببحور الشعر العربي، ص ٣٨، أو أوزان اللغة العربية وشعرها ص ١٢٣.
- ٣- محمد مصايف، جماعة الديوان في

- ١٢- النعمدة، ص ١٧٨ / ١٨٠.
- ١٣ و ١٤- جماعة الديوان في النقد، ص ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦٩، ٣٧٠.
- ١٥- مجلة الأدب الإسلامي، ص ١٦- ١٧، المجلد الرابع، ع ١٣ (١٩٩٦، ١٩٩٧).
- ١٦- الشعر المتفلت، ص ٥٥.
- ١٧- الفكرة للأستاذ عباس محمود العقاد، جماعة الديوان في النقد، ص ٣٥١.
- ١٨- الشعر المتفلت، ص ٤٧.
- ١٩- ن. م، ص ٤٧ - ٤٨.



موسم التفاح

بأيديكم وأيدينا
تعالوا نَقْطِفِ التَّفَاحَ
وَنُرْسِلُهُ لِسُوقِ الهَالِ...
نُطْعِمُ مِنْهُ قَاصِينَا وَدَانِيَنَا
وَنُبْقِي مِنْهُ مَسْكِبَةً - هِيَ الْأَحْلَى -
لِفَصْلِ البَرْدِ تَكْفِينَا
وَنَجْعَلُهَا لِعَامٍ مِنْ أَرَاضِيكُمْ
وَعَامٍ مِنْ أَرَاضِينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
مَلَأْنَا ذَلِكَ الصَّنَدُوقَ...
أَذْكُرُ جِسْمَهُ الْخَشِيبِيَّ يَحْضُنُ فَتْنَةَ الْأَلْوَانِ...
خَدَّ أَصْفَرَ كَالشَّمْسِ تَرْسُمُهُ أَيَادِيكُمْ
وَحَدَّ أَحْمَرَ كَالْوَرْدِ تَرْسُمُهُ أَيَادِينَا

* * *



مؤيد حجازي - سورية

بأيديكم وأيدينا
أَصَابَتْ لَفْحَةُ التَّفَاحِ غَرْباً مِنْ أَرَاضِيكُمْ
وَشَرْقاً مِنْ أَرَاضِينَا
فَهَلْ تَدْرُونَ مَا صَنَعْتَ؟
أَذَابَتْ بَعْضَ مَوْسِمِنَا
فَلَمْ نَحْزَنْ بِذَلِكَ الْجُرْحِ قَدَرِ سُرُورِنَا فِيهَا
فَقَدْ كَانَتْ تُوَحِّدُنَا
بِشَرْقٍ مِنْ تَعَاوُنِكُمْ
وَعَرْبٍ مِنْ تَوَاصِينَا

* * *



عاشت في أراضينا
وَصِرْنَا نَشْتَهِي الْأَشْوَاقَ...
نَشْقَى فِي تَجَافِينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
سَرَى الشَّيْطَانُ فِي دَمِنَا
وَصَارَ يُلْفَقُ الْأَوْصَافَ...
يَنْقُلُهَا مُزَوَّرَةً مَعَ الدَّقَّاتِ...
يَرَسُمُ فِي الْعَيُونِ رُؤًى
تُكَذِّبُهَا مَرَايَا الْأَمْسِ...
يَبْعَثُ فِي الشُّعُورِ هَوًى
تُخَالِفُهُ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ...
يُغْرِينَا بِ (عَرْشِ أَنَا)
فَيُغْوِينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
يَكِي التَّفَاحَ مَاضِينَا
وِغَابِ الصَّيْفِ مُحْزُونَا
وَجَاءَ اللَّيْلُ مَسْجُونَا
وَنَادَتْ خِيَمَةُ السَّمَارِ مَرَاتٍ فَمَا عُدْنَا...
فَهَلْ عُدْنَا؟؟
لَيَمْطُرُ غَيْمُنَا الْأَحْقَادَ...
وَالْحَسَادَ...
وَالْأَوْغَادَ...
وَلِيَحْمِلَ لَنَا مَا فِيهِ مِنْ غَيْثِ الْمُحِبِّينَا
فَمَا أَحْلَاهُ نَادِينَا
وَمَا أَحْلَى لِيَالِينَا
إِذَا عُدْنَا... كَمَا كُنَّا
أَيَادِينَا تَشْدُ عَلَى أَيَادِيكُمْ
أَيَادِيكُمْ تَشْدُ عَلَى أَيَادِينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
زَرَعْنَا طَهَرَ مَاضِينَا
حَصَدْنَا مُجَدَّ حَاضِرِنَا
لِنُورِثَهُ ذَرَارِينَا
نَقَشْنَا فَوْقَ ذَلِكَ الْغُصْنِ...
عِنْدَ حُدُودِنَا مَعَكُمْ
بِضْفَتِنَا أَسَامِيكُمْ
وَضِفَّتِكُمْ أَسَامِينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
تَكَاتَفْنَا...
وَكَانَ الدَّرْبُ مُحْفُوفًا رِيَاحِينَا
نَرَى مِنْ حَوْلِنَا الْعِشَاقَ مُصْطَفِينَ...
أَفْتَدَةً تُفَازُنَا
وَأُخْرَى... تَسْرِقُ الْكَلِمَاتِ مِنْ فَمِنَا
وَتَالِثَةٌ... تُغْتَنِينَا
رَسَمْنَا فِي قُلُوبِ الْحُبِّ...
عُنْوَانَ الْمُحِبِّينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
غَفَلْنَا عَنْ بُدُورِ الشُّوكِ دُسَّتْ فِي أَرْضِينَا
تُعَكِّرُ صَفْوُ تَرْبَتِنَا
وَتُجَرِّحُنَا
وَتُوذِنَا
سَقَتْهَا غَيْمَةُ الْحَسَادِ...
غَدَّتْهَا مَعَاصِينَا

* * *

بأيديكم وأيدينا
وَمَا دَامَ الْهَوَى فِينَا
صَنَعْنَا الْعُرْسَ لِلْعُدَّالِ...
رَقَصْنَا خُصُورَ الْمَنِّ فِي بُسْتَانِ عِفَّتِنَا
وَحَتَّى دُودَةَ التَّفَاحِ...